العراق

١٩٨٧/١٢/١٥

أريد حلاً

صفحة المشاكل الاجتماعية والقضايا الخاصة الملحة

يعدها : جميل الجبوري

■ من المعذبة (أ. ش) – مدينة المنصور – بغداد – رسالة مطولة تقول فيها :

« لا ادري كيف أبدأ رسالتي هذه .. لقد ترددت كثيراً في تنفيذ هذه المحاولة ، واخيرا وجدت ان لاطريقة امامي ولا حل الا ان اعرض مشكلتي عساكم تدلوني على الطريق السليم فلقد تعبت حد الارهاق من المعاناة .. الحزن المقيم والدموع الغزيرة والاسى الممض .. واخيراً المرض الذي هد كياني ..

لقد فقدت كل شيء الامر الذي جعلني افكر في حلول لاترتضونها لي بكل تأكيد ومن بينها « الانتحار » الذي حرمه الدين الحنيف ولن اطيل عليكم ولكنني اؤكـد مطـالبتي بالجواب .. فمشكلتي بل مأساتي هي أنني فتاة في بداية السنة العشرين من عمري ولقد احببت في منتصف حياتي الجامعية شابا استهواني وكانت هذه هي تجربة الحب الاولى – والاخيرة حتى اليوم – في حياتي .. فلقد وجدت نفسي منذ البداية اعيش حياة جادة لا افهم سلوك « المراهقين » من زملائي ولا اعرها اهتماماً ، ولكم حاول الكثير من الطلبة التقرب لي ولكنني كنت ارفضهم بشدة بل الاكثر من ذلك كله انني كنت (احتقر) اية فتاة اجدها تجالس زميلاً في الكلية !

كنت سعيدة بحياتي هذه بالرغم مما كنت اسمعه من زملائي عني كوني – كما يعتقدون – معقدة وانعزالية ..

وبعد اجتيازي الصف الثاني وفي العطلة الصيفية التي سبقت المرحلة الثالثة من دراستي الجامعية ، كنت اذهب لزيارة صديقة لي اكثر من مرة في الاسبوع .. وكنت اسير من مسكننا الى بيتها مشياً على الاقدام وكنت (اراه) وهو يقف امام البيت ويسمعني كلام .. وكلام ..

ثم يسير يتابعني حتى ادخل بيت صديقتي .. ثم صار ينتظرني كل يـوم .. وصرت اكـرر زيـارة صديقتي .. واستمرت الحالة على هذا النحو الى ان تحولت (رؤياه) مسألة ملزمة في نهاري .. ولكم كنت احزن أشد الحزن اذا لم اجده في انتظاري .. !!

وعندما بدأ العام الدراسي الجديد لم استطع – طبعاً – ان استمر على زيارة صديقتي .. وحسبت أنني سوف افقده مع مرور الايام . ولكنني – فوجئت – اذ وجدته في انتظاري ولكن في مكان جديد .. في الكلية ، والايام تمر والعلاقة تتوطد وأسمح لي صراحتي اذا ما قلت انني احببته ، فلقد سيطر على مشاعري وامتلك قلبي فلم استطع مقاومة ما يواجهني به من كلام ، رومانسي ساحر ومايرسم لي في افق الغيب من احلام وردية .. ولكنني – مع ذلك – لم اكشف له عن دخيلة نفسي ولم اصارحه بحبي له بالرغم من انه كان يحاول جاهداً ان يعرف مكانته في قلبي ذلك لأنني كنت احذر امثال هذه العلاقة ولا انظر اليها بمنظار الرضا كما سبق واوضحت .

وذات يوم حاصرني بأسئلته والح عليَّ فصارحته بأنني لا اثق بعلاقات الحب العابرة وان الشباب من الزملاء هم كذلك ولا اعتقدانهم ينتـوون – مستقبـلا – الارتبـاط المشروع بصديقاتهم الزميلات .

قال : ولماذا تتصورين ان الجميع هم هكذا ؟ لا . فلكل واحد منا موقفه في الحياة والناس كأصابع يدك لايتشابهون ، وقدر تعلق الأمر بي (به طبعاً فهو القائل) فأنا انشد صلة شريفة وعلاقة مشروعة ولقد احببتك من كل قلبي واحسب انك كذلك ولو كتمتي مشاعرك فلا تقفي في وجه هذه العواطف الصادقة ولنتكل على الله .. وزيادة في تأكيد موقفه مني فقد اقسم امامي على المصحف بأن لايخونني وأن يخلص لي ويضحي من اجلي في كل الظروف والاحوال وطلب مني ان اقسم بدوري فأقسمت على الحب والوفاء الى الابد .

كان يزورني دائماً في نادي كليتي ، كلية الاداب ، يأتيني من كليته كلية القانون والسياسة ، ولم اخرج معه ابداً خارج الكلية ، وكنت اسبقه سنة دراسية واحدة .. ولما توطدت علاقاتنا بلغ أهلي أمرها . فلقد ابلغهم احد خصومه الامر برسالة لأنه يحقد عليه فحاول ان ينتقم منه من خلالي ! .. ولكن ، برغم هذا ، لم ابدل من موقفي تجاهه ، وهو بدوره راح يرسل لي الرسائل يتوسل ويذكرني بالعهد ويقول :

لاتتركيني ارجوك ، ولاتنسي ما بيننا وتذكري القسم العظيم .. وما كنت ناسية ولاحانثة بـالقسم ، فأستمرت علاقتنا ولكن بتحفظ شديد بعد ان ظهر في طريقنا العذول . وكان حبه يكبر ويكبر في قلبي .

× × ×

تخرجت قبله ، وكنت انتظر ان تجمعني به الأيام بأشد الشوق واللهفة كان حلمي ومستقبلي وكل شيء في حياتي ..

ولكن ، وأف من هذه (الكن) اللعينة .. فلقد حصل مالم اكن اتوقعه ولا خطر لي على البال .. فلقد انقطعت اخباره عني بعد تخرجي بـأسـابيـع ، فتجـرأت واتصلت بالتلفون في بيته فكلمتني اخته بجفاء جارح واسمعتني كلمات قاسية فأيقنت ان الطريق اليه مسدود ، مسدود .. الامر الذي افقدني الامل في الاتصال به قبل بدء الموسم الدراسي حيث من المحتمل ان اجده في الكلية ، او يبادر هو الى الاتصال بي .. وهذا مالم يحصل ابداً .

لقد شعرت انه هرب مني ولقد حطمتني افكاري وهواجسي وهكذا سقطت منهارة ووجدت نفسي ارقد في (مستشفى اليرموك) .

ولقد وصلته اخباري .. نقلها اليه الاصدقاء ، وكنت على سريري في المستشفى أحلم به وأتمنى ان اراه أمامي ، فلو جاء لقبلت منه اي عذر كان ، ذلك انني لم أنسه لحظة واحدة .

كنت اغالب دموعي لمجرد سماع أسمه . وكان اي شيء يذكرني به يبكيني بلوعة وأسى .. ومرت الايام ، تركت المستشفى لأعود اليها مرة واخرى حتى صرت مريضة معروفة لدى الاطباء والممرضات .. ومرت السنة الاولى .. وتلتها الثانية .. وأنا اجتر همومي وادارى ما بي وهو قد نساني تماماً وقطع كل السبل الموصلة اليه .

وعبر هذه المدة الطويلة كان كل ما يجمعني به « كاسيت بصوته » اسمعه دائماً واتخيله يجلس بجانبي يحدثني فأعيش ذكرياتي عـلى الاوهام . فهو في هذا (الكاسيت) يعاهدني على الاخلاص والتضحية والحب الصادق !!

× × ×

وكان طبيعياً ان يتقـدم لي (الخاطبون) فأنا شابة جميلة وجامعية ومن عائلة حسنة السمعة . ولكنني رفضت كل من تقدم لي في تلك الفترة لأنني كنت عاجزة عن نسيانه ، ولذلك خشيت الارتباط بغيره لأن قلبي معه وزواجي من غيره يعني عندي عملية خداع للطرف الاخر لا ارتضيها لنفسي .

وهكذا بقيت انتظر الامل .. ولكن ليله كان طويلاً طويلاً .. ولقد وجدت ان لامناص من العمل فألتحقت بالوظيفة وبقيت أمني النفس بيوم متفرد اجده فيه أمامي .. ولقد جاء هذا اليوم الموعود بعد انتظار طويل مرهق .. ذلك انـه اتصل بي وفاجأني .. فرحت جداً ، بل بكيت من فرحي .. طلب مني ان اقابله .. رفضت (بدلال) في البداية ولكنني ذهبت اليه فرحة مبتهجة ، فلقد نسيت دموعي وحسراتي وأساي وهيأت نفسي لقبول عذره اياً كان هذا العذر .. والتفينا .

× × ×

سألني ان كنت لا ازال احبه .. فلم اجبه على سؤاله قبل ان يقول لي لماذا تركني ؟! .. وكنت اتمنى لو انني لم اطرح عليه هذا السؤال ، لان رده عليه لم يكن في حسباني وما كنت اتوقعه ابداً . فلو تركني لأوهـامي ، للاعـذار التي كنت اختلقها له ، للأمل الذي ارتجيه يتحقق يوماً ما ، لكان ذلك افضل لي الف مرة من يقول لي بصراحة صدقني :

– تركتك من أجل مستقبلي !!

اي مستقبل هذا الذي يقصده ؟! وما هي علاقة حبنا بمستقبله ؟ وهل هو على استعداد لأن يتنكر للحب والقسم والوفاء من اجل ما يسميه مستقبله ؟! ماذا اقول ؟ ماذا افعل ؟ فلقد غامت عيني واختلطت الرؤيا أمامي .. اتراني أعي ما انا فيه أم انني اهذي في غياب الوعي !!

قال لي : أنا آسف .. انتِ محقة .. محقة فعلاً وأنتِ مخلصة بشكـل لا يوصف .. ولكن مـا العمل .. فاللضرورات احكامها .

ماذا يعني كل هذا ؟ وماذا يعني ان : الاصدقاء معه في رأيه هذا ؟

.. هكذا قال لي . وأنا اتساءل ، اين المنطق في هذا الذي حدث ؟ واين العدل ؟ واين القيم ؟ .. بل أين أين الوفاء المجلل بالقسم العظيم .

تركته ودموعي تنهمر وجسدي يرتجف وقلبي يخفق ومعنوياتي منهارة .. وبقيت عدة ايام حبيسة غـرفتي .. انقطعت عن الدوام والطعام والكلام ولم اعد اطيق رؤية كائناً من كان .

وعاودني مرضي القديم ولاح امامي المستشفى مجدداً ..

ياالله .. لماذا كل هذا ؟ وماذا جنيت أنا لكي القي كل هذا الضنى وهل هذه هي حصيلـة الحب الصادق ؟ .. وهكذا هو الوفاء !!

بقيت الزم فراشي اعاني مغص المعدة وارتفاع حـرارة الجسم والغثيان .. وفي هذه الظروف السيئة اتصل بي وطلب مقابلتي مرة اخرى .

لكنني رفضت ، وداريت رغبتي في لقائه ، ولقد انتصرت كرامتي على هذه الرغبة . بعدها ، وردتني منه رسالة قال فيها انه لم يخطىء معي ولقد وافقه الجميع وأيدوا موقفه وطلب مني ان انساه وان امسح الكاسيت الذي سجله لي . واضاف يقول : ان الله اعطانا نعمة النسيان وان علينا ان نستفيد من هذه النعمة في الملمات .. وهكذا رحل عني الى الابد !!

أي عدل هذا ؟ أي وفاء ؟ اين الصدق ؟ أين الاخلاص ؟ انني اكتب لك هذا – يا اخي معد الصفحة – والف صرخة في داخلي تصك سمعي وتصعقني ، والف جرح ينزف لاقبل لي بمداواته بأي منطق حكم عليَّ بهذه النتيجة المروعة ؟ وكيف انسى ؟ نعم ، ان الله سبحانه اعطانا نعمة النسيان .. نسيان المآسي والنكبات .. ولكن كيف انسى الغدر والخديعة بل والخيانة ايضـاً ؟ كيف ؟!! وهـل انسى عمري .. ولقد كان – بالنسبة لي هو العمر والبقاء – ياالله ، أية صفعة قاتلة هذه التي تلقيتها في يوم حالك !

وعدت الى موقفي القديم .. ورأيي السابق .. فأنا الآن لا اثق بعلاقات الشباب .. بل انني اكرهها كره الموت .. لقد افتقدت الثقة فيهم . فهم جميعاً سواء . لقد قال لي في بداية علاقتنا انه ليس الكل كما تتصورين .. وها هو يبرهن على عكس ما قال لي .. وهو الذي ميز نفسه عن غيره .. وكنت اذاً انا المصيبة والمحقة فيما قدرت ولكنه قـادني – شئت ام أبيت الى (المصيبة) الى المأساة . ذلك أنني – في دواخلي – لا استطيع ان انساه ، فهو في قلبي محباً وغادراً ولقد بقيت وفية على العهد ولكنه تنكر له . لقد قالها لي بنفسه .. « انكِ اخلص واشرف واصـدق فتـاة عرفتها » في آخر لقاء لي معه ، فلماذا تركني اذاً ؟ لماذا لم يقل لي انه احب فتاة اخرى . لماذا خدعني وضحك عليَّ ومرغ عواطفي في التراب ؟!

وها أنا الآن ، مريضة مرهقة ، مصابة بالارق القاسي الذي تحدى عقـارات الاطباء وهـد جسدي واضناني .

وصدقوني ، انني اكتب كلماتي هذه ودموعي تنهمر ، وما ذكرته لايعادل ذرة من احساس بالالم والحسرة التي اعاني منها .

انني انتظر منكم كلمة تريحني .. تعيد الصفاء الى نفسي المشوشة وقلبي المعـذب ، فهل اسمعهـا منكم ؟ .. ارجو وأتأمل ..

انستي المعـذبة (أ . ش) – مدينة المنصور – بغداد :

عرضنا رسالتك على الاستاذ الـدكتـور (نـوري جعفـر) المتخصص في التـربية وعلم النفس والدماغ البشري والذي طالما أمد صفحة (أريد حلاً) – مشكـوراً – بالاراء والحلـول والمقترحات التي يراها بشأن مشاكل القراء الذين يكاتبون الصفحة ، فقال معقباً عليها :

في مثل هذه الحالات التي يلتقي فيها شاب مع شابة يكون الشاب في العادة اكثر افتعالا للعواطف واكثر اندفاعاً في الحب من الشـابة بحكم تكـوينهما الأجتماعي . وهذا يؤدي في اغلب الاحيان الى ان تنخدع الفتاة بالوعود المعسولة التي يطلقها الشاب وربما يكتبها على ورقة او يسجلها على شريط .. والخطأ الذي تقع فيه الفتاة يجعل من المتعذر القاء اللوم على الفتى لأنها – على الأغلب – مسؤوليتها هي .

اما عنـدمـا يتبلور مـوقفه الرافض من الزواج بها فأن التشبث به والاحتفاظ ببقايا الحب القديم امر لامسوف له والافضل في مثل هذه الحالة نسيانه الى الابد ، وتجسيد موقفه الرافض هذا . وفي ذلك تسلية سايكولوجية للفتاة من تحمل هذا العبء الانفعالي العنيف الذي ينوء به كاهلها الضعيف .

وكان من الافضل – في الواقع – عـدم الاطمئنـان اليـه منذ اللحظة الاولى عندما كان يترصدها وهي في طريقها الى بيت صديقتها . فلو كفت ولو مؤقتاً عن الزيارة لكف هو عن انتظارها بدوره ، لكنها تمادت اكثر عندما راحت تستقبله في كليتها . ويبدو لي ان المسؤولية مسؤوليتها هي عن هذه الحالة المحزنة التي وصلت اليها .

والآن ، وبعد ان ثبت لديها بالشكل القاطع ان لاعلاقة وطيدة يمكن ان تجمعهما في المستقبل ، فانني ارى ان لابد لها من نسيانه والا فانها ستبقى في حالة قلق وترقب لامبرر له لأن انتظاره والوهم سواء بسواء .

ولست هنا بمبرر موقف الشاب ولا اعفيه من اللوم بل ومن التقريع ايضا .. ولكن الفتيان في العـادة لايلتفتـون لنتـائـج تصرفـاتـهم السلبيـة تجـاه الاخرين . ذلك انه عندما كان يبادلها العواطف لم يكن يفكر بما سماه (مستقبله) . ولقد قدرت الفتاة – ببراءة – ان مستقبله مرتبط بعلاقته بها التي سوف تتوطد وتؤدي الى زواجهما في آخر المطاف .

لكن الذي تحقق فعلاً هو احتجابه عنها ثم بعد ذلك قطعه لصلته بها بحجة « مستقبله » وحقيقة الامر على ما اظن انه وجد فتاة اخرى تتوفر فيها مقومات او مكاسب جلبت اهتمامه وجعلته يتنكر لحبه القديم . وجعل من حبيبته الطيبة والوفية ضحية بريئة دون ذنب جنته . وهذا سلوك شائن ومعيب بدون ادنى شك وصاحبه شخص لايستحق الاسف حيث لا اعتماد عليه في المستقبل ولاهو اهل للثقة والاعتزاز .

وبهذه المناسبة ، اود ان اشير ان عملية الزواج ليست مقصورة على العلاقات العاطفية وانما هي – بالاضافة اليها – عنوان علاقة حياتية وطيدة وطويلة الامد . وشعار محبة متبادلة يدخل بضمنها انجاب الاطفال والعناية بهم والاهتمام بشؤون البيت وديمومة الحياة . وبذلك تصبح العلاقات العـاطفية اعتيـادية لاتحتل المكان الاول في الحياة الزوجية ، الامر الذي يجب ان يؤخذ بعين الاعتبار والاهمية البـالغة عنـد اختيار شريـك الحياة .

وليس لي – بعد – الا ان اتمنى للأنسة المعذبة حياة سعيدة بعد ان تنسى المـاضي وتنظر الى المستقبل برضا وتفاؤل .

من رسائل القراء

● السيد عبدالحميد من بغداد يقول :

عندما تزوجتها كانت سافرة ، ثم اختارت الحجاب فلم امانع . ثم فرضت عليَّ – بمرور الايام – ان لا اترك البيت لمشاركة اصدقائي القدامى في سهراتهم المعتادة ليالي الجمع . فقبلت ثم منعتني من التدخين ومن احتساء الخمر فرضيت وأمتثلت ..

وذات يوم دعيت الى حفل زواج في بيت صديق قديم . استأذنتها فأذنت ، وهناك اردت ان اعيش الجو الذي عاشه الاصدقاء فشاركتهم لهوهم وسمرهم وشرابهم . وعندما عدت الى المنزل وجدتها تصر على ان لاتفتح لي الباب . وبعد جهد جهيد فتحته . وكانت ليلة ليلاء طالبتني في صباحها بالطلاق وتركتني وذهبت الى اهلها .

والايـام تمـر ، ومحـاولاتـي لاسترضائها تستمر ، ولكنها مصرة على موقفها ولم تجد معها كل المحاولات .. فبماذا تنصحون ؟

○ للأخ السيد عبدالحميد من بغداد نقول :

لعل زوجتك فعلت خيراً اذ جنبتك التدخين ومعاقرة الكأس ، ولكنها تمادت اكثر مما يجب عندما وقفت منك هذا الموقف في ليلة مناسبة خاصة اردت فيها ان تعيش سويعات مرح كما تشتهي .

اما ان تتركك وتطلب الطلاق ولا تجدي معها كل المحاولات .. فهذا كثير كثير .. وقد أجوز لنفسي ان اقترح عليك ان لاتكون (لينا) الى هذا الحد .

ومع ذلك اتمنى ان تتصل بالصفحة لنحدد موعداً نلتقي فيه ونتدارس المشكلة من جميع جوانبها في محاولة لعرضهـا بشكـل متكـامـل عـلى (الاختصاصيين) المعنيين وصولا الى الحل الامثل .. مع ترحيبنا بمقدمك سلفاً .

× × ×

نشأت في عائلة فقيرة .. وجهدت ان احقق لي ولها العيش الكريم فوفقني الله ان اكون رجل اعمال ناجح ومعتمد واستطعت ان احقق لنفسي مكانة مرموقة في ساحات الكسب المشروع . ولكنني لم احقق لها دراسات عليا ولا دنيا ايضا .. ولظروف الحياة احكامها التي لانستطيع مغالبتها .

وذات مرة شاهدت شابة جميلة فارعة ملفتة للنظر تجلس على مائدة مع اهلها قرب مائدتي في النادي .. اعجبت بها بل اكاد اقول سحرتني . فتساءلت عنها .. وعرفت من هي ومن هم اهلها . فتقدمت لها بشبابي وثروتي ومكانتي التجارية ، ولقد كانت استجابتهم للطلب سريعة جداً الامر الذي سرني كثيراً فتزوجنا . وعملت ما وسعني على ان اسعدها بكل ما امتلك . وحققت لها مالم يتحقق لغيرها من اقاربها او اصدقائها .

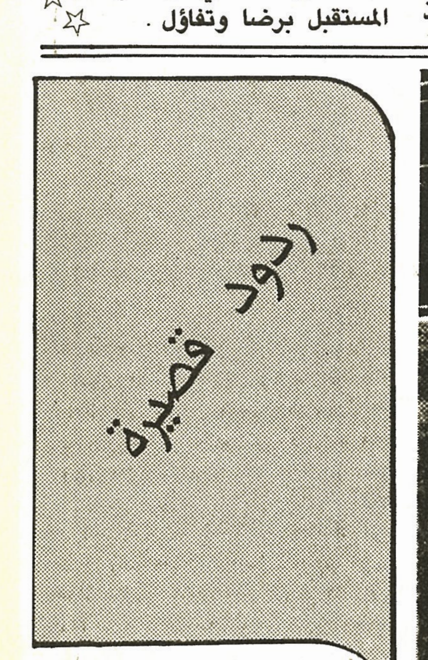
ولكنها بقيت رغم مرور ثلاث سنوات على زواجنا تسمعني مايمس كرامتي وتصفني بالجهل وتسخر من معرفتي وتجهد في ان توجه لي ما لايوجه عندما نلتقي سوية بأهلها او بمعارفها .

ويوم لم استطع احتمال ذلك كله وواجهتها ، كان جوابها حاسماً .. لقد هجرتني . ولم تقبل مني اية محاولة للتفاهم . كما ان عائلتها سدت في وجهي الابواب واعلنتها قطيعة نهائية .. فما العمل وبماذا تنصحون ؟

○ للأخ السيد صادق من الاعظمية نقول :

لسنا ممن ينصحون بالتباعد بين الازواج ولا من دعاة الطلاق ابغض الحلال عند الله . ولكننا نرى ان لكرامة الانسان اعتبارها .

ولقد كونت نفسك بشرف وكرامة ، فلا تفرط ياصاحبي بما كونت . وكن في موقف الرجل الرجل الذي (يحق الحق) وبـالوقت نفسـه (يـزهق الباطل) . فهي ارتضتك وقبلك اهلها وكلهم يعرفون انك لم تستطع ان تلتحق بالمدارس لظروفك الخاصة .. فما عدا مما بدا .. وحتى لو انها وجدت – بعد ثلاث سنوات – ان التوافق بينكما غير ممكن فأن اسلوب التعريض والاهانة ومس الكرامة اسلوب مرفوض ومدان .. وان امامها سبلا كثيرة لتصحيح الموقف ليس بينها بطبيعة الحال سبيل مس



● السيد شريف من المسيب :

كيف لنا ان نجيبك على سؤال لم تكتبه . لقد قلت لدي سؤال اود ان اطرحه عليكم ولم تكتب ماهو السؤال .

لذلك سنبقى في انتظار رسالة اخرى منك .. مع تحياتنا .

× × ×

● الانسة (مبجل) من الموصل :

وما الضير يا انستي في ان تجمعي بين الهواية والدراسة ؟ .. انك تهوين فن السيراميك وتجيدين صناعته وبالوقت نفسه ترغبين في دراسة الطب وهذا حسن .. وفي بلادنا عدد كبير من الاطباء المتميزين هم بالوقت نفسه من الفنانين المتميزين وان اسماءهم اشهر من ان تـذكر ولاضرورة ابـدا للفصل بـين الرغبتين .. وليوفقك الله .

× × ×

● السيد عبدالرزاق من مدينة (هيت) في محافظة الانبار :

لست اول من عقه الاصدقاء . ولن تكون – بالتأكيد – آخرهم فهذه ظاهرة رافقت الحياة منذ الازل .

ولئن كنت تأسف لان صديقك تجاهلك وقت الشدة فأن غيرك لقي من بعضهم ما يسيء ويؤذي وفي وقت الشدة . وعندي ان الامر يعود الى سوء الاختيار وايلاء الثقة لمن لايستحقها .

وأود – ياسيد عبدالرزاق – ان اهمس في اذنك همسة خفيفة :

فليس كل من عرفت صديق .. ولا كل من جالسته او عملت معه صديق .. تلك حقيقة سبق ذكرها في هذا الباب . ان الصداقة الحقة علاقة انسانية سامية لايجوز ان نخسرها تفردها في تقدير خاطىء منا تجاه الاخرين .. وأملي ان